الفصل الأول

الأحوال السياسية والمذهبية والاجتماعية فى السند والهند قبل الإسلام وعلاقاتها بالدول المجاورة

* حالة بلاد السند والبنجاب سياسيا ومذهبيا واجتماعيا.
* الديانات القديمة فى بلاد الهند والسند
* العقيدة الجينية
* العقيدة البوذية
* البرهمية
* علاقات بلاد السند والبنجاب مع إيران قديما.

oneurdu.com

obeikandl.com

الأقوام والقبائل بلاد السند والبنجاب فى العصور القديمة قبل الإسلام ثم من صدر الإسلام إلى العصر العباسى

أولا: أهم القوام القديمة ببلاد السند قبل الإسلام:

سكنت بلاد السند أقوام عديدة قبل الإسلام بزمن بعيد، ويرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل خمسة الآف سنة، أهما القوم الداوردى والقوم الآرى.

(أ) القوم الداوردى:

يعتبر القوم الداراوردى أول قوم من بين الأقوام القديمة التى أتت إلى بلاد السند من الخارج، وسكنتها قبل قدوم الآريين إليها، والقوم الداوردى هم أصحاب الحضارة العظيمة التى كانت فى منطقة موهنجود أرو الأثرية ببلاد السند ومنطقة هربا الأثرية وكان زمنهم ببلاد السند ما بين سنة ٣٢٥٠ وسنة ٣٨٠٥ قبل الميلاد.

وتدل الآثار القديمة على أن سكان وادى نهر السند قد ظلوا فترة من الزمن تحت سيطرة قوم البربر الذين أتوا إلى بلاد السند قبل الفرس عند زحفهم نحو الشرق عن طريق بلوجستا، ونتيجة للحملة التى قام بها هؤلاء البربر على بلاد السند من جهة الشمال والغرب، قد أجبر بعض القبائل السندية القديمة المتفرعة من القوم الدراوردى أن تترك مواطنها الأصلية لتسكن أماكن أخرى فى الشمال والغرب ببلاد السند، كما اضطر بعض القبائل الأخرى إلى أن تندمج بعضها ببعض بسبب عوامل كثيرة.

(ب) القوم الآرى (الفارسى):

يعتبر القوم الآرى هو القوم الثانى الكبير الذى أتى إلى بلاد السند من الخارج، وقد تحركوا فى قوافل عديدة على شكل هجرات كبيرة من وسط آسيا وزحفوا نحو الشرق والغرب حتى وصلوا إلى بلاد السند، وأن القافلة الأولى

وصلت بلاد السند فى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، والقافلة الخيرة فى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد، وقد قضى الآريون بعد قدومهم على نفوذ الدراوردين الذين كانت لهم حضارة موهنجود أرو العظيمة، وثبتوا أقدامهم فى البلاد وحكموها، فى حين تشتت أمر القوم الداوروى وساءت حالة قبائله المختلفة، وكانت للآرييين حضارة بسيطة فى بداية المر ثم ارتقت بمرور الزمن، ولكنها لم تصل إلى درجة حضارة موهنجود أرو وهربا التى كانت للدراورديين السكان الأصليين لبلاد السند القديمة.

ثانيا: اهم الأقوام ببلاد السند بعد الإسلام:

بعد الإسلام أتت أقوام أخرى إلى بلاد السند، وسكنتها واندمجت بالأقوام القديمة وكان لهذه الأقوام الجديدة أثر كبير على اهل بلاد السند من نواح مختلفة.

(أ) العرب سكنوا إقليم مكران:

العرب هم القوم الثالث الكبير الذى أتى إلى بلاد السند من الخارج، فى أواخر القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) وفتحوها وحكموها أكثر من قرون من الزمان، والعرب من النسل السامى، وقد تركوا آثارهم العظيمة فى كل بقعة من بقاع بلاد السند فى النواحى المختلفة، السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والعمرانية وأعادوا إلى بلاد السند مجدها فى صورة حضارة أعظم من حضارتهم السابقة.

على أن البعض يرى بأن القوافل العربية كانت تأتى إلى بلاد السند والهند منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وانها سكنت المناطق الساحلية واندمجت بمرور السنين بأهالى تلك المناطق، وإن القافلة الأولى من الحملة العربية البرية التى وصلت إلى حدود بلاد السند بعد ظهور الإسلام فإنها سكنت إقليم مكران، وأنها اقتربت من نهر السند ثم تراجعت إلى مكران وذلك فى سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣مثم بعد فتح العرب لبلاد السند فى سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م سكنت قبائل عربية مختلفة فى المدن والمناطق الكبيرة بها، واندمج العرب مع أهلها مما كان لذلك أثر كبير فى انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذه البلاد الواسعة.

(ب) أقوام أخرى:

بعد انتهاء العهد العربى ببلاد السند فى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م بدأت أقوام أخرى مختلفة تأتى إلى بلاد السند، وذلك منذ القرن الخامس الهجرى، وتسكن هذه البلاد وهى: الترك والتاجيك والمغول والتتر والفرس وغيرهم، وهذه الأقوام أيضا اندمجت فى الأقوام الموجودة من قبل فى بلاد السند ولعبوا أدوارهم على مسرح التاريخ السندى.

(ج) الأوروبيون:

وفى القرن الأخيرة جاء الأوروبيون وسكنوا مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية مشتغلين بالتجارة فى أول كالبرتغاليين والإنجليز ثم انتهى نشاطهم فى القرن الماضى باستعمار الإنجليز للقارة الهندية بما فيها بلاد السند، ولكن الأوروبيين لم يدمجوا بأهالى هذه البلاد كغيرهم من الأقوام.

ثالثا: أهم القبائل السندية القديمة:

من الأقوام التى سكنت بلاد السند على شكل قبائل كبيرة بأسماء مختلفة قبيلتان كبيرتان وهما الرط Jote والميد Meds وكانتا تسكنان مناطق مختلفة فى بلاد السند، وقد دخل معظم القبائل الزطية والميدية فى الإسلام فى عهد العرب.

ويؤخذ من البيانات الو رادة فى الكتب السنسكريتية بأن قوم الرط كانوا يشتغلون على السفن الصغيرة بالتجارة والنقل، بينما قوم الميد كانوا يشتغلون بالرعى، ويظن البعض بأن أحد الكتاب قد أخطأ فى استعمال الاسمين بحيث وضع أحدهما موضع الآخر، بدليل أن نسل قوط الرط لا يرالون يعملون بالرعى، فى حين أن نسل قوم الميد يعملون بالسفن، ويشكنون نواحى مكران ويستخدمون البحر فى الأسفار.

والحقيقة أن الجغرافيين والمؤرخين العرب أيضا اختلفوا بشأن القومين وقبائلهما بالنسبة للمناطق التى كانا يسكنانها، وكذلك بالنسبة لأعمالها وحرفهما

وصفاتها. يذكر الأصطخرى بأن قوم الميد كانوا يسكنون أحصاصا واجاما ويتغذون بالسمك وطير الماء، بينما قوم الرط كانوا سكنون على شطوط نهر السند من حد الملتان حتى البحر وكانت لهم مراع كثيرة فى البرية بين نهر مهران وبين مدينة قامهل التى تقع على الحدود السندية الهندية.

ويذكر ابن خرداذبة بأن قوم الزط كانوا يحافظون على الطريق بين كرمان والمنصورة بينما كان قوم الميد لصوصا وقطاع طرق، ويقول ابن حوقل بأن جماعات من الزط كانت تقيم فى المنطقة الواسعة ما بين المنصورة ومكران على طول نهر السند فى الأكواخ المبنية من الخوض، وكان غذؤاهم السمك والطيور المائية، كما أن جماعات أخرى منهم كانت تسكن بعيدا عن النهر فى مناطق صحراوية ورعوية وكان طعامهم اللبن والجبنة والخبز، أى أنهم كانوا رعاة مواش وأغنام وكانت حياتهم كحياة البدو.

وقد ورد فى كتاب حجنامة – وهو يعتبر أقدم مرجع تاريخى لبلاد السند – بأن قوم الزط كانوا قطاع طرق وكانوا يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند المختلفة.

ويعلق البعض على ذلك بأن الميد والزط كانوا من الأقوام القديمة ببلاد السند، وكان الميد معروفين بالوحشية والنهب والسرقة ولذلك كانوا يتخذون قرب الصحارى مساكن لهم، وكذلك الزط حتى يسهل عليهم القيام بعمليات النهب والسرقة والإضطرابات والفتن بعيدا عن سلطة الحكومة.

وخلاصة القول: يرى المسعودى بأن قوم الميد كانوا يشتغلون فى البحر بالقرصنة وأما قوم الزط فكانوا يشتغلون بالرعى، ويرى الأصطخرى وابن خرداذبة والإدريسى بأن الميد كانوا يسكنون فى المناطق الصحراوية، بالقرب من نهر السند، وكانوا يشتغلون بالرعى، فى حين يرى صاحب جحنامة وابن حوقل وصاحب نخبة الدهر بأن قوم الزط كانوا يقيمون على طول شاطئ النهر فى أماكن عديدة

وكانوا قطاع الطرق وحدد البلاذرى بأن أهم منطقة كان يسكنها قوم الميد هى منطقة القيقان وكانت سلطتهم بها قوية.

رابعا: أهم القبائل السندية فى عهد العرب:

لقد أشرنا بأن القومين الزط والميد كانا قومين سنديين كبيرين معروفين، وقد استمر وجودهما منذ مئات السنين إلى عهد العرب، وقد امتازوا بتعصبهما القومى والوطنى، وكان كلاهما يتنافسان على حكم البلاد، وكان الزط أكثر عددا وأقوى نفوذا وأخطر على الأمن والدولة من المد، ولذلك نرى محمد بن القاسم الثقفى فاتح بلاد السند (٩٢ - ٩٥هـ/ ٧١٠ - ٧١٣) قد اهتم بدراسة حياة قبيلة الزط الكبيرة التى تنتسب أصلا إلى قبيلة لوهانة Luhans الهندية ببلاد السند، وقد علم أنهم قوم ليست بينهم الطبقات، بل كلهم طبقة واحدة يعيشون عيشة وحشية كسكان الغابات، وأن الجهل منتشر بينهم، وهم قطاع الطرق الذين يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند فينبهون الأموال ويقتلون الأنفس بغير الحق، كما أنهم يقومون دائما بالإضطرابات والفتن ضد الحومة، ولذلك عاملتهم معاملة شديدة مثل معاملة الملك جج ملك السند الأسبق لهم، فقد علم محمد بن القاسم الثقفى من الوزير سياكر السندى وبعض زعماء السند بأن الملك جج كان قد وضع قيودا فى تصرفات وتحركات هذه القبيلة وخاصة بمنطقة اللوهانة بإقليم برهمنا باد، مثلما فعل قديما مع قبيلتى سرانه وساكا القديمتين الطاغيتين، فقد أمر الملك جج بأن يسحب كل فرد من الزط كليا حتى يكون معروفا بين الناس، وأخذ منهم الضمانات على سلامة القوافل التجارية وسلامة المسافرين، وفرض عليه عقوبة الموت أو الحرق لمن يسرق منهم، فقد اضطر محمد بن القاسم الثقفى أيضا إلى وضع نفس القيود عليهم حتى يضمن الأمن والاستقرار فى البلاد، لكنه خفف عنهم تلك القيود بالتدريج، بينما كان محمد بن القاسم الثقفى يعامل القبيلتين سما وسهيتة اللتين تسكنان أيضا بنواحى برهمنا باد معاملة طيبة للغاية لسلوكهما الحسنة فى حياتهما الاجتماعية.

ويذكر البعض بأن فى الفترة ما بين عهد الدولة المارية القديمة وبين عهد العرب كان سكان بلاد السند متأثرين بثقافات وعادات وتقاليد مختلفة للأقوام السابقة التى حكمتهم أو سيطرت عليهم مثل الفرس والبربر وغيرهم، بل امتزجت الدماء المحلية بدماء تلك الأقوام الورادة من الخارج حتى ظهر ببلاد السند نتيجة لذلك الخلط قومان مشهور أن بقبائلهما المتفرقة الكثيرة، وهما قوم الزط وقوم الرجبوت، وحين جاء العرب إلى بلاد السند كان معظم القبائل السندية تنتسب إلى هذين القومين المعروفين بالإضافة إلى وجود قوم الميد بقائله المتفرقة فى مناطق مختلفة ببلاد السند.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التاريخ قد أثبت بأن العرب المسلمين كانوا يعاملون هذه الأقوام أو القبائل الكبيرة حتى التى لم تدخل الإسلام معاملة طيبة وعادلة ما دامت تطيع الحكومة، كما يعترف التاريخ أيضا بأن العرب الذين فتحوا بلاد السند وحكموها رغم قلة عددهم، وقد استطاعوا بفضل سياستهم الحكمية وأخلاقهم الحميدة أن يؤثروا تأثيرا قويا من الناحية الاجتماعية والمذهبية فى تلك الأقوام أو القبائل المختلفة ذات تقاليد عجيبة وعادات سيئة وصفات وحشية.

خامسا: القبائل الأخرى المتفرعة فى عهد العرب:

ورد فى ججنامة فى عدة مواضع بأن قواد الجيش فى عهد الملك داهر السندى كانوا من البرهميين وكان عليهم اسم التهاكرة وهم كانوا أصلا ينتسبون إلى قبيلة الراجبوت الهندية القديمة ويتصفون بالمهارة الحربية والشجاعة، وكان يطلق عليهم أيضا اسم سودها sodhas، وقدج انضم عدد كبير من هؤلاء القواد التهاكرة إلى محمد بن القاسم الثقفى أيام الفتوحات، وخدموا الجيش العربى فى أثناء حملاته الحربية، وكان لهم دور فعال فى انتصارات العرب.

وقد نزحت قبائل قبائل سندية مختلفة من شمال وشرق بلاد السند، وسكنت إقليم البنجاب واشهرها قبيلة عرفت باسم "زط البنجاب" التى تفرعت

من قبـيلة الزط الكبيرة ثم تفرعت هذه الـقبيلة فى البنجاب إلى قـبائل كثيـرة مثل وجوبو وكوهاوا.

وكانت ببلاد السند قـبيلة أخرى باسم قبيلة سـومرا وهى متفرعـة من قبيلة سودها التى استمرت بالتمسـك بمذهبها البرهمى الهندى ولم تدخل فروع منها فى الإسلام فى أواخـر عهد العرب وفـيما بعد، كـما كانت هناك قبـيلة تعرف باسم كوكهر التى تفرعت من قبيلة راتهور المتفرعة من قبيلة راجبوت الكبيرة، وقد دخل معظم أفرادها فى الإسلام واشـتهروا باسم قبيلة سيراى فـى بلاد السند، وأما قبيلة لوهانة البـرهميـة التى لم تدخل الإسـلام فى عهـد العـرب فكانت تسكن بعض الأجزاء من إقليم كش (كجة) ومنطقة ماتياوار وبعض أجزاء من بلاد السند.

وقبيلة سهتا Shatas التى كانت تسكن بلاد السند، وخاصة فى إقليم برهمنا باد فقد دخلت جماعات كبيرة منهـا فى الإسلام فى عهد العرب، وعاملهم محمد بن القاسم الثقفى وغيره من حكام العرب فى كل وقت معاملة طيبة، وكانت هناك قبيلـة سمه sammah التى دخلت الإسلام فى عهـد العرب وكانت تسكن المناطق الزراعيـة، بينما كانت قـبيلة لوهانة غـير المسلمة تسكـن المدن وتشتغل بالأعـمال التجارية، ولذلك كان بيـن القبلتين المسلمة وغير المسلمة فـرق من الناحية الفكرية والبدنية، كـما كانت فى إقليم البنجاب قـبيلة تسمى الورة Alora لها صلة بقبيلة لوهانة ببلاد السند وقد أخذت إسمها من اسم المدينة المعروفة.

ومعظم سكان صحراء تهار Thar فى النصف الجنوبى منها ينتسبون إلى قبيلة سيودى الرجوبوتية. وقد دخلت جماعات منـها فى الإسلام، وأما القبيلة الشهيرة ماهار Mahars التى كانت تسكن فى المناطق الشمالية الشرقية لصحراء السند، فقد دخل معظم أفرادها فى الإسلام فى عهد العرب، بينمـا قبيلة ماهار الراجبوتية التى كانت تسكن السند الشرقية والشمالية أيضا لم تدخل الإسلام فى عهد العرب.

حالة بلاد السند والبنجاب سياسيا ومذهبيا واجتماعيا قبل الفتح الإسلامى

بالرغم من دخول بلاد السند فى الدور الأول للفتوحات، فإن المعلومات عن هذا الدور غير كافية، وإنما المرجع الوحيد الذين يمكن لنا الاعتماد عليه والذى يعطى لنا فكرة اجمالية عن الفترة هو كتاب ججنامه الذى جمع مواده وكتبه بالعربية مؤرخ عربى فى أواخر العصر الأموى، ثم قام عالم عربى أخر بترجمته إلى الفارسية فى سنة ٦١٣ هجرية، وقد أخذ منه المؤرخون القدماء مثل صاحب تاريخ المعصومى وصاحب تاريخ فرشته وغيرهما، وكذلك اعتمد عليه كثير من المؤرخين الشرقيين والغربيين، ومعنى ذلك أنه لا يوجد أى كتاب فى تاريخ بلاد السند قبل ججنامه عن العصر الذى سبق صدر الإسلام، وعلى العموم نحاول الاستفادة من هذا المرجع بقدر الإمكان.

كانت الدولة الهرشية الهندية يؤيدها أصحاب المذهب البرهمى الهندى وهم البراهمة الذين أوجدوا نظام الطبقات، بحيث قسموا الشعب إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى تسمى طبقة البراهمة أو الكهان والسدنة ورجال الدين، والطبقة الثالثة تسمى الأكشترية وهى الطبقة الحاكمة والمحاربة، والطبقة الثالثة تسمى طبقة الفيشية وهى طبقة التجار والصناع والزراع التى توفر وسائل العيش للبراهمة والحكم، ثم الطبقة الرابعة تسمى طبقة الشودرية ووظيفتها خدمة تلك الطبقات الثلاث فى أحقر الأعمال كنظافة البيوت ورفع القاذورات، على أن أفاد الطبقات الثلاث الكبرى من أصل أرى، وقد أتوا إلى بلاد السند قبل الميلاد بزمن بعيد وحكموها، بينما أفراد طبقة الشودرية أصحاب البلاد الأصليين قد أخرجهم البراهمة منى ميدان السياسة والحكم والتعليم بل أذلوهم واعتبروهم طبقة المنبوذين وحرموهم من كل حقوقهم الطبيعة الشرعية، فهم ليسوا حتى فى منزلة العبيد وقد أخرجوهم من دائرة الإنسانية حسب نظام الطبقات هذا.

ونتيجة لمظالم نظام الطبقات وأصحابه البراهمة، ظهر ببلاد الهند مصلح اجتماعى وهو بوذا بمذهبه الاجتماعى الجديد، وبدأ يحارب مظالم البراهمة: بآرائه الثائرة، يريد الخلاص للطبقة الشودرية المظلومة من تلك العبودية والذلة، ويريد الوصول بهم إلى حياة العزة، والسعادة، وسرعان ما انتشرت مبادئ هذا المذهب بعد عهد هرشا حتى أيده بعض البرهمى القديم والمذهب البوذى الجديد، واستطاع البراهمة أن يطردوا الكثيرين من البوذيين والشودرية من وسط بلاد الهند، فانتشروا فى الجنوب والغرب وخاصة فى بلاد السند.

ورغم وجود الاختلاف الكبير بين البوذيين والشودرية من الناحية الفكرية والاجتماعية، فقد نشأ بين الفرقين نوع من الاتحاد السياسى، وأصبحت لهم قوة أيضا فى بلاد السند ضد البرهميين حتى جاء عهد الملك جج (سنة ١ - ٤٠هـ ٦٢٢ - ٦٤٠م) الذى كان ابنا لسادن البراهمة مرة أخرى فى بلاد السند، واشتد الصراع المذهبى فى أنحاء البلاد، مما أثر ذلك كثيرا على تدهور الحالات الاجتماعية والفكرية والمذهبية والاقتصادية، لدرجة أن معظم الشعب السندى كانوا يتمنون أن تتاح لهم فرصة ليتخلصوا من هذه الفوضى المذهبية والمظالم الطبقية واستبداد الحكام، ولينجوا بأرواحهم من أنواع وسائل التقتيل والتشريد والتعذيب من جانب البراهمة، وأن يشعروا بالطمأنينة والسلم فى ظل العدالة الاجتماعية حتى ينعموا بالرفاهية الاقتصادية ويتمتعوا بالحركة الفكرية والمذهبية.

هكذا كانت بلاد السند تعيش فى هذه الفترة من التاريخ فى حالة سيئة من الناحية الاجتماعية والمذهبية بصفة خاصة، ومن الناحية الاقتصادية والفكرية والسياسية بصفة عامة، ونتحدث الآن عن الحالة السياسية لبلاد السند ابتداء من عهد الملك سهرس الثانى بن ساهسى الأول إلى عهد العرب.

عهد دوائج وعهد سيهرس الأول:

حكمت بلاد السند أسرة حاكمة قبل الإسلام لمدة ١٣٧ سنة وذلك سنة ٤٨٥ - ٦٢٢م أى حتى السنة الأولى الهجرية، وأسماء ملوكها بالترتيب: دوائج ثم

سيـهرس الأول ثم سـاهسى الأول ثم سيـهرس الثـانى، ثم ساهسى الثـانى وفى عهـدها انتقل البوذيون على شكل هجـرات كبيرة إلـى بلاد السند بعد طردهم من بلاد الهند، ولذلك يمكن التخمين بأن حكام الدولة كانوا بوذيين غير متعصبين.

عهد الملك سيهرس الثانى:

إن أول ضوء يلقـيه التـاريخ على بلاد السند يبدأ فى عـهد الملك سيـهرس الثـانى بل سـاهسى الأول، الذى كـان يجلس على عـرش بلاد السند فى القـرن السادس الميلادى وكانت بلاده تنقسم إلى خمس ولايات هى: برهمنا بادوسيوستان واسكلنده والملتان والور، وكانت الور عاصمة البـلاد كلها يقيم بها الملك وأما بقية الولايات فكان يحكمها أمراء من أقرباء الملك وقد حكم هذا الملك بلاد السند فترة من الزمن حكما عادلا ونشر الأمن الاستقرار.

عهد ساهسى الثانى:

ولما وصل خبـر موت الملك السندى إلى العاصـمة قام رجال الدولة بتـتويج ولى العد سـاسهى الثانى بن سـيهرس وأجلـسوه على عرش أبيـه، وحكم البلاد بالعدل والانصاف سنوات طويلة، وفى عهده حضـر شاب برهمى فقير إلى القصر وقابل الحاجب رام والوزير برهمـين وقال لهما: أن اسمى جج بن سـيلائد السادن وأبى وأخى يعملان فى مـعبد الور، وقد بادرت أن اتشـرف بمقابلة الحاجب الذى اشتهر بالفصاحة والبلاغة، وأرجو منه أن يتكرم بإعطاء عمل لى فى الديوان فأقوم بانجازه بكل أمـانة وإخلاص، حـيث أنتى أحفظ كتب الهـند الربعة (رك - جج - أسـام - أثرين) وفى هذه الثناء وردت رسـائل من مدينة الـديبل فأعطى الحـاجب خطابا إلى جج فقرأه جيدا وكتب الرد بأسلوب جـميل وألفاظ رقيقة وخط حسن، فأعجب به الحـاجب وعينه كاتبا فى الديوان، ولما توفى الحاجب تعـين جج رئيسا للديوان واستطاع أن يضبط أمور القصر والدولة بسياسة وحكمة.

عهد جج بن سيلائج:

وهكذا وصل جج البرهمى إلى العرش والحكم بمساعدة الملكة الأرملة. وبعد أن نظم الملك جج أمور مملكتـه الداخلية، أراد الاستفـادة من الاضطرابات السائدة فى مملكة فارس الجارة، فسار إلى مكران واستـولى عليها بعد أن كانت دولة إيران تسيطر عليها.

ثم توفى الملك جج فى مدينة الور عـاصمة البلاد بعد أن دام حـكمه أربعين عاما.

عهد جندر بين سيلائج:

بعـد وفاة الملك جج جـلس على العرش أخـوه جندر فى سنة ٤٠ هجـرية ٦٦٠م وحكم بلاد السند لمدة سبع سنوات وقضى على بقية الفتن، ونشر الاستقرار فى البلاد حتى توفى فى العام الثامن من حكمه وذلك فى سنة ٤٨ هجرية ٦٦٨م.

عهد الملك داهر بن جج:

بعد وفاة جنـدر ساد الاضطراب أنحاء المملكة السندية وانقسـمت البلاد إلى قسمين، وجلس داهر بن جج على العـرش بمدينة الور بداخل السند، بينما اعتلى عرش إقليم برهـمناباد الأمير دارج بن جندر ابن عـم داهر لمدة سنة واحدة (٤٨ – ٤٩هـ، ٦٦٨ – ٦٦٩م) وبذلك تقاسم الأخوان حكم المملكة لمدة ثلاثين سنة وكانا يتبـادلان نقل مقر الحكم، فتـارة كانت العاصـمة مدينة الور وتارة تكون العصـمة مدينة برهمناباد، ثم وقع الخلاف بين دهر سببه وبين سبب اتخاذ القرار من جانب داهر بالزواج من أجله الأمـير مـانى (مايين) وكل ذلك القـرار نتـيجة لـرأى أحد الملجمين حين أخـبر الملك داهر بأن حقه لأميره مايـن سيكون من نصيب شخص يصبح ملكا على كل بلاد السند فانشغل فكر داهر بهذا الخبر الخطير واستشار وزيره الذى نصحه بالزواج منها حـتى لا يفلت زمام الحكم من يده، وبذلك قرر الزواج مضطرا لأسباب سياسـية، وقد استنكر هذا الخبر شقيقه الكـبير دهرسيه الذى كان

ملكا على إقليم برهمناباد، فنصحه بالعدول عن هذه الفكرة لكنه لم يقبل ذلك، فتوجه الأمير دهرسيه بجيشه نحو العاصمة الور لمحاربة الملك داهر ولكنه فشل فى القضاء عليه، وكان قد عسكر بالقرب من قصور الور وقلعهاـ ومرض فجأة متأثرا بقتله وحرمه ومات فى دل المعسكر، وبعد ذلك رواج الملك داهر من أخته مايين.

وبذلك استقل الملك داهر بحكم البلاد ابتداء من سنة ٧٩ هجرية ٦٩٨م، ووحد الملكة وحكمها لمدة ثمان سنوات أخرى، حتى فوجئ بهجوم حاكم ولاية الباتية عليه وكان يلقب بنائب الملك ويسمى الأمير رمل (رنمل) ويبدو أنه كان من أقرباء الملك داهر وحصل خلاف بينهما، واقترب حاكم الباتيه من العاصمة فى سنة ٨٧هـ ٧٠٥م، واستطاع داهر أن يقهره بسهولة بع أن ظن أنه كاد يفقد الحكم، وذلك لمساعدة محمد العلاقى العربى ورفاقه العرب.

وبعد ذلك حكم الملك داهر بلاد السند بضع سنوات أخرى حتى وقع النزاع بينه وبين العرب فى إثر حادثة بضع سنوات أخرى حتى قراصنة السند على السفن العربية التجارية المارة بموانى السند، وعدم هنمام الملك بذلك بالإضافة إلى حمايته للمتمردين العرب وتشجيعه لهم بمحاربة ولاة العرب بإقليم مكران، وعلى ذلك قرر العرب فتح بلاد السند فى سنة ٩١ هجرية ٧٠٩م.

الديانات القديمة ودخول الإسلام
فى بلاد السند والبنجاب فى عهد العرب

الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب:

أهم الأديان القديمة التى كانت موجـودة ببلاد السند عند الفتح العربى، هى البرهمية والبوذية والجيـنية، كما كان فيها اليهودية والمسيـحية إتباع قليلون من قبل الإسلام، وكان المذهب البرهمى يعتبر أقدم هذه الديانات وأوسعها انتشارا وأكثرها نفوذا فى بلاد السند والبجاب، ثم جاء من بعـده المذهب الجيبى وظهر معه المذهب البوذى قبل الميلاد بنحـو خمسمائة سنة، وهما معاصران، وقـد ظهرا بضد تعاليم المذهب البرهمى، على أتبـاعه حتى أتى عهـد كانت له أهمية ومـقبولية أكـثر مما للمـذهب البرهمى القـديم، ثم جاء الإسـلام إلى بلاد السند والبنجاب فى نـهاية القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادى) مع الفتوحات العربية الإسلامية واحد فى الانتشار يوما بعد يوم فى هذه البلاد.

ليس للدين البـرهمى مؤسس حتى يـعتبـره مرشدا مـعينا لأتبـاعه من أهل الهند، كما لا يوجد شخص مـعين ذو مركز روحى عظيم فى ذلك النظام المذهبى عند البراهمة حتى نسب إليه الكتب المقدسـة لهؤلاء البراهمة فى الأزمان القديمة، وإن ظهر بعض شخصيـات كبيرة فيما بعد وبسبـب كثره عددهم لا نجد فى الدين البـرهمى، التوحـيد فى العـقـيدة، لا لمذهب ولا القـانون ولا العادات، ولكثـرة الاختـلافات فى طرق العبـادة وكثرة عـدد المعبود من الأصـنام، وهذا الدين يبدو كالغابة التى تتخللها آلاف الطرق، ولكن لا يوجـد بينهما طريق واحد يكون سهلا واضحا مستقيما ليرضى به جـميع أتباع هذا الدين، ومع ذلك فهناك عقيدة برهمية تشترك فيها الفرق البرهميـة المختلفة بصفة عامة، وهى فكرة التناسخ والحلول التى لها علاقة كبيرة بالفلسفة.

وقد عرفت بلاد السند والبنجاب قبل البرهمية كثيرا من معتقدات الآريين الذين كانوا قد وفدوا إليها قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرنا، فاعتنت الناجا الطوطية وعبدت إلهها الأفعوان كما عبدت هانون الإله القرد وعبدت ناقوس الإله الثور، وقدست الشجار والموتى من الأسلاف اعتقادا من بخلود أرواحهم وقدمت لهم القرابين، استخدمت الرقى والتعاويذ والسحر لجلب السعادة وغطالة العمر ودفع الأرواح الشريرة وإيقاع الارتباك بالأعداء، وما زال اليوم قلة منعزلة الويدا وهى أقدم أساطير الهند والسند تفصيل لآلهة الآريين والهنود الكثيرة هذه ومن ينسب إليه البعض تسمية الهند، وهو إله السماء والعواصف الذى يجلب الأمطار أو الماء والذى هو أصل الحياة، وشوريا إله الشمس، ولكن اختلف الرأى فيمن ينسب إليه خلق العالم من بين هذه الآلهة، فقد أجمعوا على كل حال على وجوب رد الأمر إلى خالق واحد وذلك فيما بعد متأثرين بمسألة التوحيد فى الإسلام.

وصار للبراهمة (أصحاب الدين البرهمى) بعد العصر الويدى السلطان والقوة فثبتوا نظام الطبقات الذى كانوا قد أقاموه من قبل، ووضع قديسهم الأكبر "منو" شرائعه وفقه الذى غدا بلاد الهند والسند وقانونها الأساسى فى كافة نواحى الحياة بها وظهر فى ذلك العصر قبل الميلاد بقرون أربعة، ملاحم المهابهارتا والراماتيا فالأولى تشتمل اليوم على قرابة ربع مليون بيت من الشعر فى حين تضم الثانية بين دفتيها ثمانية وأربعين ألف بيت، أى أضعاف أضعاف الياذة هوميروس، وبذلك كانت أضخم آثار العالم الأدبية القديمة على الإطلاق، ولا شك فى أنها قد تعرضت إلى إضافات كثيرة على مر القرون حتى بلغت صورتها الخيرة، وللمهابهارتا على الخصوص قداسة عظمى عند البراهيمة كقداسة الإنجيل عند أتباع المسيح حتى ليعدون قراءة ما تيسر منها مجلبة للرحمة والمغفرة ومن أعظم وأقدم كتبهم المذهبية التى تقوم عليها طقوسهم ويستمدون منها عقائدهم أربعة كتب يرجع تاريخ أقدمها إلى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد والأخير منها إلى حوالى ١٢٠٠ سنة قبل

الميلاد، وهى هذه الكتب بالترتيب أهمها كتاب (ركفيدا) يشتمل على مجموعات من الناشيد التى كانوا ينشدونها فى تقديم القرابين للآلهة وكتاب (سام فيدا) أيضا يشتمل على الأناشيد المذهبية وكتاب (ويكرفيدا) يشتمل على الصلوات والأدعية شعرا ونثرا ثم كتاب (أشهر فيدا) يصف عقائد الجمهور فى الأرواح الشريرة والرقى والسحر وهو آخر مجموعة من هذه الكتب، ولذلك ظل مدة غير معترف به فهو لا يلقى ما تلقاه الكتب الثلاثة السابقة من التقديس.

يبدو أن هذا النظام قد وضع من جانب البراهمة لتوزيع العمال على لناس فى المجتمع.

البراهمة (برهمن) أى الكهان من رجال الدين البرهمى ومن واجباتهم الإشراف على الشؤون المذهبية وخدمة المعابد، وهم أعلى الناس درجة.

الأكشترية (جهترى) أى الطبقة الحاكمة والمحاربة، وهم الذين يشرفون على الشؤون الإدارية والعسكرية ومسئولون عن الأمن فى البلاد.

الفيشية (ويش) أى طبقة التجار بصفة خاصة وتنضم إليها طبقة الزراع والصناع وأصحاب الأعمال الاقتصادية ومن واجبتهم توفير وسائل العيش للبراهمة والأكشترية.

الشودرية (جودر) وهم السكان الأصليون فى البلاد ولا ينتمون إلى الآريين بصلة الدم، وهم أسفل الطبقات فى نظر البراهمة وأحقر الناس وعملهم خمة الطبقات الثلاثة الكبيرة فى أخس حاجاتهم من أعمال النظافة، وهم يسمون أيضا الطبقة المنبوذة.

وتنص شرائع منو على امتيازات للبراهمة لا يرقى إليها الملك نفسه الذى كان عليه ألا يقطع أمرا دون الرجوع فيه، فهذه الشرائع التى رسمت لكل طائفة من الطوائف حدودا لا تتعداها قد أطلقت فى الوقت نفسه أيدى البراهمة من كل قيد وجعلت لهم زعامة الناس جميعا، فالبرهمى لا يدنس ولو قتل أهل الكون جميعهم، فهم وما يملكون على يمينه وأمره نافذ مطلق.

وقد أباح منو لأبناء الطبقات الثلاث الكبيرة حق المصاهرة فيما بينهم على قدر، بحيث يستطيع الرجل أن يتزوج من طائفته أو من طائفة أدنى منها وليس أعلى منها، وزاما طبقة الشودرية الرابعة (طبقة المنبوذين) فقد حرم عليهم مخالطتهم بأفراد الطبقات الأخرى ولا يجوز لهم الزواج إلا من طبقتهم الحقيرة فقط، ومن يتزوج بواحدة من الشودرية يصبح مفضوحا مذموما ويطرد من طائفته لينزل إلى طائفة المنبوذين العبيد ويصيبه خزى الدنيا، ولكن يمكن للبرهمى أن يتزوج امرأة أكشترية من الطبقة الحاكمة أو حتى من الطبقة العالية أن تتزوج من طبقة أقل منها، لأنها حينئذ تلد أولادا يرثون صفات أبيهم التى هى اقل من صفات طبقة أمهم وكم من شودرى نفى من الأرض لمحاولته التطلع إلى من هم أعلى منه طبقة، وكم من مرة جرع الجحيم من الزيت الحار أو قطعت يداه لمجرد معرضته لرأى البراهمة فقط كان السبب فى وضع نظام الطبقات الجائرة هو أن البراهمة خافوا من أن يختلط بنو قومهم الآريين بعناصر الهند والسند وأهمها القوم الدراوردى الذى سمى بالشودرية المنبذين بواسطة البارهمة الآريين الذين استولوا على السلطة فى البلاد ويخشون من الشودرية فى الفقر والجهل حقوقهم فى أراضهم الأصلية، فبقاء هؤلاء اشودرية فى الفقر والجهل والحرمان يضمن للبراهمية دوام الاستمرار فى الحكم والجاه فى البلاد.

ويعيش البراهمة معززين مكرمين على ما تقدم لهم من القرابين والهدايا والأموال، وإن كان قد أذن لهم أيضا فى حالة القيام ببعض الوظائف والعمال التجارية، وقد وردت فى شريعة منو نصوص كثيرة تشير إلى مكانة كل طبقة فى المجتمع:

وعلى هذا الأساس الذى وضعته الكتب المذهبية قامت الحياة الاجتماعية للبراهمة الهندوس وظلت كذلك عبر القرون تزداد كل يوم شدة وتمكينا وتزداد كل طبقة تمسكا بموفقها من غيرها حتى رأيت طبقة الشودرية المنبوذين وكأنهم أشد إيمانا بذلتهم من غيرهم فهم لا يسكنون مع بقية الأهالى داخل المدن بل يتخذون

لهم مساكن حقيرة قذرة فى أطراف المدن فى غاية الذلة فهم لا يحاولون أن يرتفعوا عن وضعهم هذا والجهل بينهم متمكن.

ولذلك كله قد ضاق الناس ذرعا باستمرار السلطة للبراهمة واشتداد وطأنهم عليهم، حتى بدت لهم تباشر الخلاص على أيدى مصلحين قد ظهرا من بين الأكشترية الحاكمة فى القرن السادس قبل الميلاد وهما (مهابير) صاحب الديانة الجيبة وصاحب الديانة البودية ولقد كانت حياة هذين المصلحين غامضة على كثير من الباحثين أرادوا أن يتبوا عنها وعن مبادئها فلم يجدوا ما يعتمدون عليه فى الغالب إلا الأساطير.

العقيدة الجينية:

كان الدين الجينى أحد العقائد المنتشرة فى بلاد الهند والسند قديما ولا يزال له أتباع قليلون مثل أتباع البوذية فى تلك البلاد، والجينيون يعتبرون دينهم دينا مستقلا بذاته كالبودية ولا يعترفون بالبرهمية، ولكن بعض المؤرخين يعتبرون الجينية مشقة من البراهيمة الهندوسية، بينما يعالى الجينيون فى ادعائهم بأن ديانتهم أقدم الديانات كلها فى شبه القارة الهندية، على أن المؤرخين لا يعرفون حقيقة الجينية إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد، ويعرفون مؤسسها أو منظمتها الأخير باسم "مهاديرا" الذى يؤرخون ميلاده لسنة ٥٩٩ قبل الميلاد أى قبل اثنتين وأربعين سنة من ولادة بودا صاحب الديانة فى سنة ٥٥٧ قبل الميلاد، وعلى ذلك يعتبر الذين الجينى أقدم فى الظهور من الدين البوذى، وإن كان كلا المؤسسى لهذين المذهبين قد تعاصرا فى الحياة ثلاثين سنة، ولكنهما لم يتقابلا مع أنهما كانا يعيشان فى منطقة واحدة تعرف باسم "بيهار" بلاد الهند فى الوقت الحاضر، وقد مات مهايرا قبل بودا بحوالى خمسين سنة.

والجينية من ناحية أخرى تعنى عقيدة قهر النفس، وفيها ينظر مهاديرا (مهابير) أى البل العظيم إلى الحياة بأنها لعنة وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطئ جوعا ليبلغ سر الوجود، ويدرك الحقيقة والمعرفة عند الدنيا المتعلقين

بأهداب الحياة فيها ولا تتجاوز النسب فى الزمان والمكان فيهال، فما عند فريق منهم حق محسوب هو عند غيرهم باطل معلوم فى الغالب وطريق الخلاص عند الجينيين يقتضى الامتناع عن إيذاء أى كائن حى حتى امتنعوا عن ممارسة أى عمل من العمال وغطوا أفواهم بأيدهم لكى لا تتسرب إليها كائنات من الهاء فتقتل، ولذلك كنسوا الأرض برفق زائد أمامهم ومن تحتهم خوف من القضاء على ما يسرح فيها من هوام، حين يمشون وحين يجلسون أو يرقدون ويفعلون ذلك كله إلى أن يتم لهم أعظم انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة وهو انتحار البطئ جوعا وحرمانا ومشقة.

والجينية تخالف أيضا الديانة البرهمية فى أنها لا تعترف بمسألة تعدد الولاة التى يقول بها البراهمة نتيجة لفكرة التناسخ التى تقول بأن الإنسان لا يزال يموت ويولد.

حتى تظهر نفسه تماما فتصل إلى الخلود والنعيم، وتقول الجينية بأن الإنسان يستطيع أن يتحرر من دورة الولاة هذه بتعطيل حياته وذلك بالتخلى عن كل عمل وكل ما يغذى جسمه حتى تنتهى حياته، وكأنها ترغب بذلك فى الانتحار حتى سميت بالانتحارية.

من مبادئ الجينية:

أهم شيء فى الجينية هو الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها حتى تدخل النفس فى حالة من الجمود لا تشعر فيها بأى شيء مما حولها، والناسك الحق هو الذى يقهر جميع مشاعره وعواطفه، وحوائجه فلا يحتاج إلى شيء حتى اللباس، لأنه لا يشعر بحر ولا برد ولا حياء، ويهتم الكهان الجينيون بنتف أشعارهم كلها كدليل على أنهم لا يهتمون بالجسد المادى لأن الذى يشعر بالحياء يشعر بالتالى إلى ستر عورته، وإن فى الحياة خيرا وشرا وحسنا وقبيحا، ومعناه أنه لا يزال متعلقا بها خاضعا لمقاييسها، ويقول الجينيون: إن أدم وحواء كانا يعيشان فى الجنة بطهر كامل لا يشعران بحياء ولا خير ولا شر ولا يحملان هما أو

غما حتى تسلط عليهما الشيطان ليحرمهما من هذه اللذة، فحملهم على أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر، فأخرجا من الجنة، وبهذه الطريقة يعيش كهانهم عراة لا يسترهم شيء مطلقا لأن هذا هو المثل الأعلى عندهم، أى أن الناسك تجرد من كل أحساس بالدنيا وآراء الناس فيها، فأصبح لا يهتم فيها بخير أو شر أو حسن أو قبيح ويفلسفون فى هذا المعنى ويقولون إن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، فلو لم يكن الإثم فى الحياة لما كان الحياء، فترك اللباس هو ترك للإثم وبصوره، وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسماء لباسا له.

الديانة البوذية (البدهية أو السمينة):

البوذية إحدى الديانات القديمة المعروفة التى ظهرت فى بلاد الهند وبلاد السند قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد، وبقيت مئات السنين ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة كسيلان وبورما وسيام والصين واليابان حتى أصبحت هذه البلاد الآن هى الموطن الحقيقى لازدهار البوذية بعد أن اضمحل شأنها من منبعه الأصلى بلاد الهند نفسها، وبقدر معتنقوها فى هذه البلاد بحوالى خمسمائة مليون نسمة.

حياة بوذا ونشأته:

ولد بوذا مؤسس الديانة اليوذية فى سنة ٥٥٧ قبل الميلاد، وبوذا هذا لقب له ومعناه "العارف المستنير" أما اسمه فهو "كوتاما" أو "سدهارتا" وكانت ولادته فى أسرة حاكمة غنية من الطبقة الأكشترية، فنشأ على طبع أسرته مترفا منعما، ولكن لفت نظره ما كان يراه من مظاهر البؤس والشقاء والمرض والتفاوت الاجتماعى بين الطبقات، فأخذ يفكر فى هذه المظاهر وفى الحياة ولذاتها وانقطاعها بع حين، فأفزعته هذه الحقيقة فترك حياة القصور والنعيم، وانقطع يفكر ويبحث عن مخرج من هذه الآلام، وكان يلازم شجرة يجلس تحتها يفكر، وقد صارت هذه الشجرة بعد ذلك ذات مكانة مقدسة ما زال البوذيون ينظرون إليها نظرة تقديس، وهى الآن فى منطقة كايا بولاية بيهار ببلاد الهند.

وعاش بوذا حياة مـرة قاسمة فى الغابات والصحارى فـترة من الزمن يعانى آلام البؤس والفقر والجوع ويمارس أنواع الرياضات الجسمية والروحية حتى استطاع أن يصل إلى حالة من التجرد من الماديات، ويعلو بنفسه عن الشهوات، حتى أدرك أن الشهـوة هى أم الشرور فى الحـياة، وأنه لابد من القضـاء عليهـا، حتى يحس الإنسان بالسـعادة والراحة، وأخذ يدعـو الناس إلى هذا التحرر نحـو أربعين سنة مرتحلا من مكان إلى مكان، يبشر بالمحبة بين الناس، ويدعو إلى الزهد المخلوقات كلها نظرة فيها رحمة وحنان بعيدا عن التعالى والغرور، وعمل بوذا نفسه بما يدعو إليه من مبادئ، فكان يقاسم الناس آلامهم، ويدعوهم إلى مبادئه الرحيمة، مبادئ الحب والعطف والتسامح.

ويذهب البعض إلى أن هناك تشابها بين مـا نسج حول بوذا وحياته وبين ما قاله أتباع عيسى عليه السلام عنه.

تعاليم البوذية:

لم تبحث البوذية فى أمر الإله كما هو الشأن فى البرهمية، وقالوا أن القصد الأول لبوذا كان تطهـير النفس من شهواتهـا ونحليها بالأخلاق فى معـاملاتها مع الناس، وتنظيم الأمـور الاجتمـاعية والقـضاء على نظام الطبـقات، ولذلك تدور تعاليم بوذا كلها حول هذا الأساس الحلقى والاجتماعى: لا تقتل، لا تسرق مالا، لا تشرب خـمرا، لا ترقص، لا تكذب، لا تزن، لا تكن مـترفـا، لا تتكبر، لا تكن ظالما.. إلخ وكـان أهم شىء اهتم به بوذا نفسـه هو العمل على إلغـاء نظام الطبقـات الذى أوجدته الديانة البـرهمية الـقديمة لمصلحـة البراهمـة، وأن البوذية الأصلية لم تحـتفل بالطقـوس البرهمـية الرسمـية كنالغـسل فى الأنهار المقـدسة، والمداومة على الصـيام والاشتغـال بالعبادات المتعـبة والجولان عراة حفـاة، وتقليد الرهبان فى حلق الرؤوس أو تلبيد الشعر وتتريب الجسد وعرض النذور والقرابين، فكل ذلك ليس له حظ فى النجاة عند البوذية.

وتنكر البوذية وجود خالق للعالم وأن الموجودات كلها ليست إلا وهما وظواهر باطلة فانية، وأن الحديث عن الكون وهل هو متناه أو لا متناهى والروح وامتزاج النفس والبدن أو انفصالهما ما هو إلا أسطورة وخرافة من خرافات الأساطير، وكذلك أنكر بوذا القضاء والقدر وقال بأن مصير كل حى منوط بسلوكه الذى قد يقوده إلى السعادة أو إلى الشقاء، فلا أخره ولا جنة بنعيم ولا سقر بحميم، كما أنكروا فكرة التناسخ والحلول وغيرها، وقد سخر بوذا من البراهمة سخرية شديدة فهدم كيانهم حين أعلن بأن الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة والهوت مسائل لا تستحق النظر، وأن القرابين والدعية ما هى إلا من صناعة الكنهوت، كما هاجم نظام الطبقات ضمنا حين صرح بأن الناس أشرافهم أدنياءهم كلهم سواء فهو يشير بذلك إلى أنه ليس من العدل أن تتمتع البراهمة بكل شىء وأن يحرم الشودرية من كل شىء، وإلى أنه ليس من الحكمة أن لا يكون للاكشترية الحاكمة إلا سلطة ظاهرية جوفاء وأن لا يكون للغيشية الأعيان والتجار حق الخروج من دائرة طبقتهم الثالثة مهما بلغوا من الكمال والعلم أو الجاه والثروة.

انتشار البوذية وزوالها ببلاد الهند والسند:

ظهر بوذا فى الوقت الذى كان الناس يعيشون تحت ظلم الديانة البرهمية التى قسمت الناس إلى طبقات غير عادلة فى بلاد الهند والسند، وكانوا ظامئين إلى مذهب جديد ليخلصهم من الأفكار السيئة والطقوس الصعبة، ومن تعالى وغطرسه البراهمة، ومن الذل والعبودية، ولما ظهر بوذا بالمبادئ الأخلاقية الاجتماعية التف الناس حول ودخلوا فى مذهبه وأيدوه ونصروه، وظل بوذا يدعو إلى مبادئه مدة حتى توفى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، ولم تكن البوذية قد أخذت شكلا رسميا حتى لفتت هذه المبادئ نظر الإمبراطور أشوكا إمبراطور الهند الشمالية فى القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن خاض حروبا قاسية حتى مال إلى حياة الرحمة والحب والسلام، فاعتنق دعوة بوذا ودعا إليها فى حماس وأرسل رسله إلى الممالك

المختلفة يدعون إليها وبذلك صار الإمبراطور داعيا علميا للبوذية حتى انتشرت واكتسحت فى طريقها الديانة البرهمية القديمة.

على أن الذين دخلوا الديانة البوذية من أهل الهند والسند ظلوا معترفين بآلهتهم التى كانوا يعبدونها فى البرهمية القديمة، ومن هنا بدأت البوذية تختلط فى مظاهرها بالبرهمية وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالإله، وبالتالى اندمج فريق من البوذية فى طقوس البراهمة حتى ظهرت البوذية بمظهر البرهمية وبدأت معابدهم تظهر فيها البراهمة، ومن ثم أخذت البوذية تتلاشى شيئا فشيئا، وأصبح بوذا بعد حين إلها يعبده البوذيون، وبهذا مهد السبيل إلى انحسار موجة البوذية من بلاد الهند والقضاء عليها فى القرن السادس الميلادى بعد مرور ألف سنة من ولادة بوذا ورجعت البرهمية إلى مكانتها القوية وصارت دينا رسميا فى بلاد الهند وكذلك فى القرن السابع الميلادى فى بلاد السند.

ومما أدى إلى زوال البوذية أيضا فى بلاد الهند والسند أنه فى الوقت الذى لم يأبه البراهمة بأمر الديانة الجينية التى لم تكن خطرا بالنسبة لهم لمبالغتها فى التقشف والزهد، انصرفوا بقوة طاغية إلى العمل على تقويض صرح البوذية المتسامحة التى غدت تناوئ سلطانهم حتى أحدثت تغيرات غير قليلة فى النظم الاجتماعية والسياسة، وصار لها أتباع كثيرون، وبمرور السنين استطاع البراهمة أن يقضوا على البوذية بقوة وسياسة مذهبية جديدة، ذلك أن رؤساء البراهمة عمدوا إلى إدخال قدر غير يسير من تطور وتسامح فى شعائرهم بغية إعادة مجدهم وسلطتهم الدينية، فى الوقت الذى انحرف سندنه البوذية عن مبادئها الأولى البسيطة إلى مستحدثان معقدة أقحموها على عقيدتهم السهلة، وراحوا ينشدون لأنفسهم وبذلك وسعوا الشقة فيما بينهم وبين أتباعهم الذين ما لبثوا أن جذبهم تسامح البراهمة الطارئ وتدبيرهم المحكم حين أخلوا لبوذا نفسه مكانا بين آلهتهم البرهمية وكذلك لمهاديرا نبى الجينية أو إلهها وأعلنوا لهما قدسيتها، وكانوا قد أنكروا ذلك من قبل.

وهكذا ظهرت برهمية جديدة لا تختلف عن البرهمية القديمة فى كثير وقد ساعدت على استرداد أصحابها تحت سيطرة البراهمة بفضل سياستهم المذهبية الجديدة من جهة وبفضل ما وجدوه عند الأمراء الراجبوتيين الأقوياء الذين ظهروا فى القرن السادس الميلادى، من مناصرة وتشجيع مما يسر لهم ذلك فى نشر مدارسهم فى كل مكان، حتى انتشرت عقيدتهم وهى البرهمية الجديدة فى القارة الهندية كلها لا يضرها وجود تلك الجينية الضئيلة ولا البوذية الضعيفة.

موقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب من العرب:

كانت بلاد السند تحكمها قبل الإسلام زهاء قرن أسرة مالكة تعرف فى التاريخ بأسرة سيهاسى وكانت هذه الأسرة بوذية المذهب، ثم فى أول سنة من القرن الأول الهجرى أى فى مصدر الإسلام انتقل حكم البلاد إلى رجل يسمى جج وكان برهمى المذهب وحافظا للكتب البرهمية المقدسة لأنه كان من أسرة دينية برهمية، فقد كان والده سادن معبد الور بينما كان شقيقة جندر الزاهد بوذيا وباستيلاء جج على الحكم صارت الديانة البرهمية هى الدين الرسمى للدولة وسيطرت على الدين المنتشر فى البلاد رغم كون الأغلبية فيها من البوذيين.

وبذلك استطاع البراهمة أن يسيطروا على جميع مناطق بلاد الهند، بل حتى على المنطقة المعزولة عنها جغرافيا وهى بلاد السند، بينما كاد لا يوجد لأتباع الجينية من وجود فى بلاد السند فى صدر الإسلام وبعد ذلك، حيث أننا لا نجد لنشاطهم أثرا واضحا فى التاريخ، لأن هؤلاء كانوا مسالمين هادئين ورهادا مغالين فى زهدهم بصفة عامة، ولذلك كان البراهمة يتجاهلوهم لقلة خطرهم على الديانة البرهمية، فى الوقت الذى شنوا حملاتهم العنيفة فى القضاء على البوذيين بشتى الطرق الوحشية من القتل الجماعى والإحراق العام وأنواع التعذيب، إذن كانت الديانة البرهمية هى دين أغلبية الشعب قبيل الفتح العربى لبلاد السند.

وموقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند مع العرب أيام الفتح العربى يختلف من ديانة إلى ديانة إلى ديانة حسب ظروفها السياسية والمذهبية فى البلاد،

فالصراع المذهبى الذى كان قائما فى تلك البلاد قبيل الفتح العربى لها بين أصحاب المذهب البرهمى الطغاة وأصحاب المذهب البوذى المتظلمين، يعتبر أهم عنصر لتلك الحياة المذهبية القاسية، ففى بداية القرن الأول الهجرى حين قام (هواين تسانغ) الرحالة الصينى المعروف بجولته فى شبه القارة الهندية ذكر فى مذكراته أن البوذيين كانوا منتشرين فى ذلك الوقت بكثرة فى وادى نهر السند وفى الوديان الواقعة فى المناطق الجبلية ببلاد السند والمجاورة للحدود الهندية وذلك بعد أن سكنوا هذه الأماكن هاربين من ظلم البراهمة فى بلاد الهند وقد ورد فى مواضع كثيرة من كتاب ججنامه ذكر هؤلاء البوذيين ومعابدهم وحكامهم والمناطق التى كانوا يسكنونها فى بلاد السند أيام الفتوحات الإسلامية، فيدل ذلك على أيضا على وجود الجماعات الكثيرة منهم فى بلاد السند وسيطرتهم على مناطق مختلفة مهمة وعلى وجود الزعماء والحكماء الكبار الأقوياء بينهم، وخاصة فى مدينة النيرون ومنطقة البودهية وإقليم سيوستان ومنطقة بت وغيرها كما كان زعماء البوذية يسيطرون على قلاع كبيرة وحصون عظيمة وإن كانوا من كبار الراهبان السمنيين البوذيين، وكانت لهم قطاعات واسعة منيعة وكان لهم حراس مستقلون محاربون أقوياء، فقد جاء فى ججنامه أن الملك جج أراد القضاء على كاهن بوذى معروف بصاحب القلعة الذى اشتهر بعدواته ومخالفته للبراهمة وحكامهم، فوجه الملك جج بنفسه إلى تلك القلعة ليقضى على ذلك الكاهن، ولكنه سرعان ما انخذل أمامه وفقد قوته وجبروته حين واجهه وجها لوجه، فقد استولت عليه هيبة ذلك الرهب البوذى فخرج من عنده منهزما نفسيا ومعنويا وسياسيا، بل وعده بتقديم المساعدات اللازمة للمعبد البوذى هناك كما كان كثير من البوذية من التجار والصناع والعلماء يعيشون فى المناطق التى كان معظم حكامها وسكانها من البرهميين مثل مدينة التى كان معظم حكامها وسكانها من البرهميين مثل مدينة الديبل وكان بها أيضا للبوذيين معبد معروف، ومدينة الور العاصمة السابقة لبلاد السند وكان بها معبد عظيم لهم، ونواحى إقليم سيوستان التى كان بها معابد كثيرة للبوذيين بجانب المعابد البرهمية.

كذلك يفهم من بيانات ججنامه أن البـوذيين لم يكونوا يسعون لحماية السرة الحاكمة من البراهمة أيام الفتـح العربى، ذلك أنهم لم ينسوا تلك المظالم الوحشية التى لاقوها من هؤلاء البـراهمة فى شبه القارة الهندية لمئـات السنين حتى اضطروا فى النهـاية للانتـقال إلـى شمـال الهند ولا سـيمـا إلى بلاد السند واسـتـوطنوها واسـتطاعوا أن يتنفـسوا قلـيلا الحـرية المذهبيـة، ولكنهم لم يتـخلصوا تمامـا من الاضطهاد المذهبى والاجتماعى ولا من عـداوة البراهمة لهم من النواحى الأخرى، فتلك العوامل المذهبـية والسياسيـة والنفسية والاجتـماعية كلها، شـجعت البوذيين على الترحـيب بالعرب الفاتحيـن أصحاب الدين الإسلامى، دين العـدل والمساواة والرحمـة، فتعاون البـوذيون معنويا وماديا مع العـرب للقضاء على جـبرت حكام البراهمـية وظلمـهم الذى ملأ البلاد، وقـد عد بعض المؤرخـين مسانـدة البوذيين للعـرب من أهم السبـاب التى أدت إلى زوال الدولة البـرهميـة بسهـولة فى بلاد السند.

وعلى العمـوم فإن العـموم فإن البـوذيين فى كل بقعة من بـلاد السند كانوا يسالمون العرب ولا يرغبون فى القتـال ضدهم بل كانوا يرحبون بهم ويعاونوهم فى الخطط العسكرية لإتمام مـهمة الفتح العـربى حتى تزول الدولة البرهميـة ويتخلص البوذيون من ظلمهم، لم يكتف البوذيون على مساعدة العرب بل نجد أن كثيرا من الجماعات البوذية قد دخلت الإسلام أفواجا أيام الـفتوحات وبعدها باستمرار حتى يكاد لا يسمع عن وجـود البوذيين بعد ذلك فى بلاد الـسند، وهذا يؤيد ما نذهب إليه من أن أغلبية البوذيين قد دخلوا الإسلام فى عهد العرب.

وأما موقف أتباع البراهمة فكان بصفة عامة ضد العرب مذهبيا وسياسيا فهم لم يرغبوا جـماعية فى الدخول فى الإسلام كـالبوذية إلا فى حالات قليلة، ولكن بعض البرهمـين من الزعماء والقواد وزعـماء القبائل ببـلاد السند دخلوا فى طاعة العرب أيام الفتوحات حين وجدوا كـفة الميزان فى صالح العرب وسالموهم وعملوا تحت رايتهم حـتى تم الفتح ودخل البقـية فى طاعة العـرب أيضا مرغمـين وقبلوا حكمهم.

ونذكر هنا بعض الأمثـلة للحكام البوذيين وكذلك للبرهمـين الذين انضموا برغبتهم وبدون قتـال إلى الفاتح محمد بن القاسم الثقفـى أيام الفتوحات، وكانوا خير معيين له سياسيـا وعسكريا، فمن الحكماء البوذيين مثل بهندركن حاكم مدينة النيرون والأميـر كاكه بن بسايه حاكم منطقـة البودهية ومعظم قوداه والأميـر موكه بسايه حاكم منطقـة بت والأمير راسل الحاكم الثانى لمنطقة بت وكـان من كبار قواد الملك داهر حتى قبيل المعركة المصيرية بين محمد ابن القاسم والملك داهر، وكذلك الأمير ككسه بن جندر حاكم منطقة باتيه وكان فى الغالب بوذيا لأنه كان ابن الملك جندر البوذى وأما من كبار الشخصيات السياسية والعسكرية للبرهميين الذين لجأوا إلى محمد بن القاسم ودخلوا تحت لوائه مثل قـبلة بن مهترائج المشرف على سجن الديبل، وسياكر وزير الملك داهر وبالإضافة إلى عشرات من القواد الذين استسلموا أثناء القـتال وبعد فـتح المدن والقلاع فى راور والور وبرهـمناباد والملتان وغـيرها، ومن الجماعات البوذية التى قبلت الطاعة للعـرب بدون قتال مثل قوم جنه المقيمين فى ناحية من إقليم سيوستان وكذلك جـماعات من القواد والجنود البرهميين الذين انضموا إلـى العرب أثناء القتال بين مـحمد بن القاسم والملك داهر وأيضـا قدمت الطاعة قائل سندية مخـتلفة مثل زط اللوهانة، وقبيلة السمة وقبـيلة السهته ومعظم هؤلاء الأفراد وتلك القـبائل قد دخـلوا الإسلام أيام الفتـوحات وبعدها فى عـهد العرب ببلاد السند والبنجاب.

***

علاقات بلاد السند والبنجاب
مع الدول المجاورة قبل الفتح الإسلامى

علاقات بلاد السند والبنجاب مع بلاد إيران قديمة

نجد أن العلاقات بين بلاد السند وبلاد إيران، كانت علاقات مختلفة منذ عصور قديمة جدا، وكانت مستقرة بحكم الجوار، وكان من الطبيعى أيضا أن تقع حروب بينهما فى بعض فترات من التاريخ، فقبل الإسلام كانت الجيوش السندية تصل أحيانا إلى داخل بلاد السند إلى أن فتح العرب هذه البلاد، وبذلك انتهت السيطرة العسكرية والسياسية المتقطعة للفرس على بعض أجزاء بلاد السند.

(أ) علاقة بلاد السند ببلاد إيران قبل الميلاد:

لقد عثر بين الآثار القديمة على خطابات لملوك الدولة الإكمينة الإيرانية (٥٥٠ - ٣٢٣ق. م) فى القرن السادس قبل الميلاد، وذلك فى الجزء الشمالى الغربى من بلاد السند، مما يدل على وجود العلاقات بين بلاد إيران وبلاد السند فى ذلك العهد القديم جدا، ومن الناحية السياسية دلت الآثار الحجرية القديمة على أن الملك دارا الأول (٥٢٥ - ٤٨٦ق.م) الذى حكم إيران حكما قويا قد فتح وادى السند ابتداء من منطقة بنجاب إلى بعض الأجزاء المحيطة لنهر السند فى ذلك العهد،ـ وتعتبر حملة دارا الأول سنة ٥١٨ قبل الميلاد أول حملة إيرانية على بلاد السند.

وبعد دارا الأول جاء الملك زيراس الذى حكم إيران فترة قصيرة (٤٦٤ - ٤٦١ق. م) وكانت جيوشه تشتمل على الهنود والسند أيضا. ثم ابتداء من عهد الملك دكار إلى عهد الملك دارا الثالث كانت بلاد السند تحت سيطرة الحكم الإيرانى

حتى استولى الإسكندر الأ:بر المقدونى على منطقـة بنجاب التابعة لبلاد السند فى سنة ٣٢٣قبل الميلاد. فزالت بذلك السيطرة الإيـرانية من بلاد السند البنجاب لفترة من الزمن.

ويتبـين لنا من النقـوش التاريخـية التى وجـدت فى إقليم برهمن آباد (آباد) ببلاد السـند على وجود علاقـات سيـاسية بين الدولة الإيـرانية الكمينيـة وبالدولة السندسة فى تلك العصور القديمة.

ومن الناحية الثقافية، فـإن الآثار القديمة التى وجدت فى منطقة موهنجود، وتدل أيضا على وجود العلاقـات الفكرية بين أهل السند وأهل إيران قبل التاريخ، وكانت هذه العلاقات الثقافية مستمرة بين الدولتين إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ومن الناحيـة التجارية أيضـا تدل تلك الآبار القديمة التى عـثر عليهـا ببلاد السند على وجـود العلاقات التـجارية بين بلاد إيران وبلاد السند والبـلاد المجاورة منذ آلاف السنين، فمن بين ما عثر عليه بعض الأخـتام التى كانت تستخدم للختم على الأوراق الرسميـة المرسلة إلى الخارج، والطرود الكبيرة، ولعـلها كانت طرود القطن، ومنها البـضائع التى كانت تتـبادل كالأحجـار الكريمة والتماثل الحـجرية والكؤوس والطوب الأحمـر، وكان يستورد حـجر الفيـروز من إيران، وربما كانت الخشاب أيضا تصدر إلى إيران.

(ب) علاقة بلاد السند بإيران فى العهد الساسانى:

أسس أرد شير الأول الدولة الساسانيـة فى إيران التى دامت نحو أربعة قرون من الزمان (٢٢٦م – ٦٥٢م) واتسـعت سيطرتها بعـد فترة قصـيرة حتى اشـتملت على غـرب الهند ووسطهـا والجزء الشـمالى الغـربى منهـا، وأرسل ملوك طوران ومكران بالبيـعة إلى أردشير الأول، وكـان إقليم طوران وإقليم مكران يدخلان فى نطاق الدولة السندية فى ذلك العهد.

وتشيـر بعض الروايات إلى أن بلاد السند كـانت مفـصلة عن بلاد الهند فى عهد الدولة الهيلينية الهندية فى القرن الرابع الميلادى.

(ج) علاقات بلاد السند ببلاد إيران فى عهد انوشيروان:

عادت العلاقات السياسية بين بلاد السند وبلاد إيران فى عهد انوشيروان الملك الساسانى بعد انقطاعها فترة من الزمن، فامتدت السيطرة الإيرانية حتى نهر السند وقد صالح كثير من ملوك أقاليم السند والهند انوشيروان وأرسلوا إليه بهداياهم الثمنية معبرين بذلك عن تقديرهم له، وكان ذلك خوفا من كثرة جيوشه وسعة ملكه وغلبته على البلاد الأخرى وقتله لكثير من حكامها الذى رفضوا البيعة له.

ومن الناحية الثقافية فإن العلاقات كانت طيبة بين الطرفين، فقد طلب الحكيم برزويه الإيرانى من الهند كتاب كليلة ودمنة وموضوعه فى إصلاح الأخلاق وتهديب النفس، وترجمة من السنسكريتية إلى الفارسية وقدمه إلى كسرى انوشيروان، وكذلك نقلت لعبة الشطرنج ؟إلى إيران فى عهد انوشيروان.

وهكذا كانت العلاقات السياسية والثقافية وكذلك التجارية قائمة بين بلاد السند وبلاد إيران فى العهد الساسانى، حتى عهد يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين الذى قضى العرب عليه فى سنة ٣١هـ / ٦٥١م، هجرية أى فى القرن السابع للميلاد،ـ وبذلك زالت الدولة الساسانية الكبيرة عن الوجود ودخلت بلاد إيران تحت حكم العرب.

(د) علاقة بلاد السند ببلاد إيران قبيل عهد العرب:

فى بداية القرن السابع الميلادى، وبعد ظهور الإسلام قام الحاكم الإيرانى هرمز بعدد من الحملات البحرية على سواحل بلاد السند، حتى وقع فى أسره عدد كبير من أهالى السند وأخذهم معه إلى إيران وكان معظمهم من وقوع الزط لأن أغلبية أفراد الجيوش السندية كانت منهم، ولما أراد العرب الحملة على إيران عقدت الدولة الساسانية معاهدة الصلح مع بلاد السند وبموجبها جامل الملك هرمز قوم الزط بإيران وأدخلهم فى الجيش الإيرانى لمحاربة العرب بهم، ثم فى عهد أبى بكر

رضى الله عنه وقعت حرب ذات السلاسل بين إيران والعرب فى سنة ١٢هـ (٦٣٤م) وقتل خالد بن الوليد هرمزا، ووقع ألاف الأسرى من الزط فى أيدى نعرف وفتنو الإسلام عنهم وسكنوا العراق، ثم سنة ١٤ هجرية (٦٣٦م) فطلب الملك يزدجرد الثالث مساعدة عسكرية من حلفائه ولا سيما ملك بلاد السند الذى أرسل إليه الأسلحة والفيلة وأهدى له فيله البيض المقاتل الذى كان بمثابة قائد لتلك الفيلة المحاربة، وقد قتل فى الميدان فى اليوم الثالث من السهل للعرب إبعاد بقية الفيلة وقتل المعركة، وبعد ذلك أصبح من رستم القائد الإيرانى المشهور، والقضاء على جيش إيران فى هذه الحرب وفى القرن السابع الميلادى فى عهد الدولة الهرشية الهندية أيضا كانت بلاد السند تابعة للحكم الإيرانى سياسيا ثم ضعفت إيران بسبب حملات العرب المتكررة عليها، فانتهز الملك جج ملك بلاد السند هذه الفرصة واسترجع منطقة مكران التى كانت تحت سيطرة إيران وبعد وفاة جج جاء ابنه الملك داهر، ووحد البلاد كلها وظل سنوات طويلة، حتى حصل الفتح العربى الكبير بقيادة محمد بن القاسم الثقفى فى سنة ٩٢هجرية / ٧١٠، وبذلك انتهت سيطرة إيران على بلاد السند بصفة نهائية.

ومن الناحية التجارية فقد أشار بعض الجغرافيين العرب ومؤرخيهم إلى أن العلاقات التجارية بين بلاد السند وبلاد إيران كانت مستمرة فى عهد العرب، فيذكر المسعودى بأن العوامل التجارية كانت متصلة بين خراسان وبين الملتان بإقليم البنجاب والمنصورة بإقليم السند من خراسان ويذكر الأصطخرى بأن البل السندية كانت تصدر إلى خراسان وفارس وغيرها.

ومن الناحية الثقافية والفكرية فقد كانت اللغة العربية مكانة كبيرة فى بلاد السند فى عهد العرب بحكم الظروف السياسية ودخول الكثيرين من أهل السند فى الإسلام، ومع ذلك كانت اللغة الفارسية رائجة فى أماكن مختلفة من بلاد السند بسبب الجوار والتبادل بين بلاد السند وبلاد إيران، وكذلك بسبب وجود كثير من الفرس فى بلاد السند حتى فى الجيش العربى منذ عهد بن القاسم الثقفى، فقد

ذكر الأصطخرى بأن لسان أهل مكران كان الفـارسية والمكرية (المكرانية) وزيه أيضا مثل زى أهل فارس والعراق ويقـول المقدسى بأن الفارسية كانت مـفهومة فى إقليم أيضا ونلاحظ أن الجغـرافيين العرب لم يذكروا أهـمية اللغة الفارسـية عند ذكرهم للغة العربية ببلاد السند ذلك لأن إيران ولغـتها كانت محكومين فى ذلك الوقت، إلا أن الفارسية مع ذلك كانت لها أهمية كبيرة عند أهل السند.

وهكذا كانت العلاقات بين بلاد السند والبنجاب وبلاد إيران قديمة ومستمرة فى صورها المختلفة فى كل العهود السابقة حتى عهد العرب ببلاد السند والبنجاب وبعد ذلك.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com